العرب والدعوة الإسلامية في الصومال

فى العصور الوسطى الإسلامية

للدكتور محمد محمد أمين

٢٠٢

- كانت منطقة الصومال أسبق في الإسلام من المدينة المنورة.
- تروي أحداث التاريخ أن أولى الهجرات العربية الجماعية إلى ساحل الصومال كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.
- من الساحل الصومالي سافر طلاب العلم إلى شبه الجزيرة العربية لينهلوا من علوم المعرفة في الدين والفقه.
- من أشهر مراكز الدعوة الإسلامية على ساحل الصومال الشرقي مدينتا «مركة» و«براوة».
- يذكر المقريزي أن أول من أقام في هذه الدولة هم قوم من قريش من بني عبد الدار، أو من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب.

الإسلام في الصومال

وصلت الدعوة الإسلامية إلى منطقة الصومال في السنوات الأولى للبعثة، فكانت الصومال من أسبق الدول في استقبال الدعوة الإسلامية، ومن المرجح أن الصومال بحكم صلاتها القديمة ببلاد العرب، وبحكم وجود جاليات عربية على ساحل الصومال منذ انهيار سد مأرب سنة ١٢٠ م وماتلا ذلك، سواء جاءت هذه الجاليات لأسباب مذهبية(١) أم اقتصادية، فإنه

من المرجح أن الصومال عرفت الإسلام في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، عندما هاجر بعض المسلمين من مكة إلى الحبشة، وكان من بينهم جعفر بن أبي طالب ـ ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام ـ والذي أسس مراكز للدعوة الإسلامية في أرتريا والصومال، بمساعدة الجاليات العربية المستوطنة في تلك الجهات، وذلك في السنة الخامسة للبعثة(٣)، أي قبل هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى يثرب (المدينة) بنحو ثماني سنوات، فكانت منطقة الصومال أسبق في الإسلام من المدينة المنورة، ومن ثم فلا عجب أن الصوماليين صاروا فيما بعد من أشد المتحمسين لنشر الدعوة الإسلامية، وأصبحت بلادهم إسلامية خالصة.

ولا شك أن الدعوة إلى الإسلام تمت على يد المهاجرين المسلمين، الذين تزايدت هجراتهم إلى الصومال وشرق أفريقيا، فبظهور الإسلام أصبح لدى العرب دوافع جديدة ـ غير العامل التجاري ـ لمحاولة الاستقرار في سواحل الصومال وأفريقيا الشرقية، وإقامة كيانات سياسية عربية إسلامية، وبالتالي زادت الروابط بين العرب والصومال، ولم يقتصر الأمر على عرب شبه الجزيرة، بل زاد أيضاً اتصال الصومال بكافة الدول العربية الإسلامية في أنحاء الوطن العربي.

وكانت الهجرات العربية إلى الساحل الصومالي في العصور الوسطى نتيجة لعوامل متعددة، أبرزها المنازعات الدينية والسياسية التي ثارت بين المسلمين وبخاصة في عهد الدولتين الأموية والعباسية، ومن الطبيعي أن تنقل هذه الجماعات المهاجرة من سواحل شبه الجزيرة العربية (الأحساء ـ البحرين ـ عمان ـ حضرموت ـ اليمن) أن تنقل معها صوراً من الحضارة العربية الإسلامية إلى الصومال، وكان أبرزها إنشاء المنازل العربية، والمراكز التجارية، وانتشار الدين الإسلامي، والحضارة الإسلامية

وبخاصة في أرتيريا، والصومال، وزنجبار، وإلى الجنوب من خط الاستواء(٤).

ولم تلبث أن تحولت المنازل العربية، والمراكز التجارية إلى مدن عربية إسلامية يسكنها المهاجرون العرب، ومن ثم أصبحت مراكز للالتقاء الحضاري، والاختلاط السكاني بين العرب والصوماليين.

وتروى أحداث التاريخ أن أولى الهجرات العربية **الجماعية في العصور الوسطى إلى ساحل الصومال كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان** (٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٧٨٥ ـ ٧٠٥م) وذلك على أثر أتباع سياسة البطش والتنكيل بالقائمين بالحركات المناوئة للدولة الأموية، فخرجت هجرات عربية بأعداد كبيرة إلى ساحل الصومال وسواحل أفريقيا الشرقية، وانضمت إلى من سبقوهم إليها ليدعموا تأسيس المدن العربية هناك والتي أصبحت نواتها لامو (جنوب الصومال حالياً) والمناطق التي حولها(٥).

وتذكر بعض الروايات أنه عندما علم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بأخبار هجرة تلك الجماعات أرسل أخاه حمزة إلى شرق أفريقيا لنشر الدعوة الإسلامية، ومد نفوذ الأمويين إلى هناك، وفي رواية أخرى أن ابنه جعفر هو الذي هاجر إلى شرق أفريقيا وحكم في منطقة كيوايو Kiwayu جنوب مقدشوه في أرخبيل لامو(٦).

ومهما يكن من أمر فإن هذه الروايات تنسب إلى العرب الشاميين تأسيس إمارة عربية في أقصى جنوب الساحل الصومالي وقرب منطقة لامو، ومن المرجح أنها أقدم إمارة عربية إسلامية ظهرت في سواحل شرق أفريقيا(٧).

وبلغ من اهتمام عبد الملك بن مروان بالدعوة الإسلامية في الصومال وسواحل شرق أفريقيا أنه أرسل مهاجرين سوريين إلى هذه المنطقة عام ٧٧هـ/٦٩٦م، ونجح هؤلاء المهاجرون في إنشاء مراكز ومدن تطورت وأصبحت إمارات إسلامية، منها ما يقع على ساحل الصومال حالياً مثل براوة(٨).

وأهم هذه الهجرات العربية تلك الهجرة التي خرجت من عمان خلال الفترة من ٧٥ ـ ٨٥هـ/ ٦٩٤ ـ ٧٠٤م

بقيادة الأخوين سليمان وسعيد ابني عباد الجلندي من قبيلة الأزد، وهما من شيوخ العرب الذين حكموا عمان في أيام الدولة الأموية وثاروا في وجه الخليفة عبد الملك بن مروان، ولكن تغلبت عليهم قوات الحجاج سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م، فهرب سليمان وسعيد مع أنظارهما إلى الساحل الصومالي، فكان الأميران رسولي سلام ودعوة إلى الإسلام، ولا يعرف على وجه التحديد أين نزلوا على البر، ومن المحتمل أن يكونوا نزلوا في منطقة بات (بيت) في أقصى جنوب الساحل الصومالي(٩).

وتبع هذه الهجرة العربية هجرات أخرى استقرت في أماكن متفرقة على الساحل الشرقي لأفريقيا ففي عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م وفدت إلى الساحل هجرة زيدية من اليمن، وذلك على أثر نشوب نزاع بين الشيعة في اليمن وانقسامهم إلى طائفتين متخاصمتين، وكان على رأس الطائفة الأولى زيد أكبر أحفاد الإمام علي بن أبي طالب، وقد هزم رجال الخليفة تلك الجماعة في عام ٧٣٩ ـ ٧٤٠م، وقتل زيد، ففر أتباعه وهاجر بعضهم إلى ساحل شرق أفريقيا، واستقروا عند ساحل بنادر (الصومال الشرقي) بالقرب من موقع مقدشوه عند شنجايا(١٠).

ويبدو أن أخبار نجاح الهجرة العمانية بزعامة الأخوين سليمان وسعيد ابني عباد الجلندي كانت دافعاً للزيدية بالهجرة إلى السواحل الصومالية حيث استقروا وكونوا لهم عدة منازل، ثم تبعتهم جماعات أخرى من الزيدية، فتضاعفت أعدادهم بسرعة وبخاصة بعد خروج أعداد من الزيدية من اليمن إلى سواحل الصومال في الفترة من ١٤٠ ـ ١٤٣هـ/ ٧٥٧ ـ ٧٦٠م، فانتشروا على ساحل بنادر وتوغلوا إلى الداخل قليلاً، واتسع ملكهم حتى ضم منطقة مقدشوه، تلك المدينة التي أسسها العرب فيما بعد(١١).

وحكم الزيدية في ساحل بنادر حوالي مائتي سنة قاموا خلالها باستصلاح الأراضي القاحلة بالاستفادة من مياه نهري جوبا وشبيلي، واستطاعوا بمساعدة الوطنيين زراعة بعض النباتات التي درت عليهم أموالاً طائلة، وقد نجحت هذه الجماعة في نشر الدعوة الإسلامية على طول الساحل، فظهرت منطقة بنادر كأول منطقة تأخذ بتعاليم الإسلام في الصومال(١٢).

ومن أهم الهجرات في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هجرة الإخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية، وهجرة فارسية شيرازية، وقد كان لكل منهما آثار بعيدة المدى في تاريخ المنطقة.

ففي أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي خرج من إقليم الإحساء على الخليج العربي خلال الصراع بين الخلافة والقرامطة خرج سبعة إخوة من قبيلة الحارث العربية على رأس جماعة من أنصارهم في ثلاث سفن، وهبطوا الساحل الصومالي عند شاطىء بنادر، وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسة، وفي ساحل بنادر اصطدموا بجماعات الزيدية الذين اضطروا إلى الإنسحاب إلى الداخل حول أودية نهري جوبا وشبيلي(١٣).

وكان لهجرة الإخوة السبعة إلى الساحل الصومالي نتائج بعيدة الأثر في تاريخ المنطقة على مدى قرنين من الزمان، فإليهم يرجع الفضل في تأسيس مشيخة مقدشوه التي تزعمت الساحل الشرقي لأفريقيا لفترة طويلة، كما يرجع إليهم الفضل في تأسيس مدينة براوة(١٤).

وكان لاتساع نفوذ مقدشوه أن حدث ترابط بين عناصر السكان من العرب والصوماليين، فعقدت اتفاقية في القرن العاشر الميلادي بين العرب والفرس من جهة، والقبائل من جهة أخرى نصت على تكوين اتحاد على صورة مجلس من الأشراف وأعيان القبائل للنظر في أمور البلاد، ومن ذلك حفظ الأمن، وتطبيق العدالة وقد تم هذا الاتحاد بعد أن أصبحت مقدشوه عاصمة لساحل بنادر الذي يشمل موانى مركة وبراوة والأراضي المحيطة، والتي كان يطلق عليها جميعاً «مقاديش» وعرف سكان هذه الجهات باسم سكان بنادر، كما عرفت بضائعهم باسم بضائع بنادر(١٥).

ومنذ عهد الإخوة السبعة وصل سكان مقدشوه إلى سفالة في موزمبيق، فترددت سفنهم إلى سفالة لاكتشاف مناجم الذهب واستغلاله.

ومن الآثار التي ترتبت على وصول هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر ذلك الصراع الذي نشأ بينهم من ناحية وبين الهجرة الزيدية السابقة عليهم بسبب الاختلاف المذهبي، فبينما كان الإخوة

السبعة وأنصارهم من السنية من أتباع المذهب الشافعي، كان الزيديون شيعة، وانتهى الصراع بين الفريقين بانتصار هجرة الإخوة السبعة وانسحاب الزيدية إلى الداخل، فكانت فرصة طيبة لحركة الاندماج والانصهار في الشعب الصومالي، فعلى مر السنين تزاوج الزيدية مع الصوماليين، وامتزجت دماؤهم «الأموزيدج»، ويبدو أن هذا الاسم تحريف سواحلي لكلمة «الزيدية»، ومن المرجح أن هؤلاء المخلطين هم من عناهم الرحالة البرتغاليون باسم «المور – Moors –» تمييزاً لهم عن الزنوج – الخلص(١٦).

أما الهجرة الفارسية الشيرازية فطبقاً للرواية العربية لحوليات كلوة كانت بزعامة الحسن بن علي وأبنائه الستة، أو علي بن الحسن طبقاً لرواية المؤرخ البرتغالي جواس دي باروس Joas De Barros (١٧) وذلك سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م(١٨)، وتألفت هذه الهجرة من نحو ألف ومائتي رجل وصلوا الساحل الشرقي لأفريقيا على سبع سفن، ونزلوا في عدة أماكن على الشاطئ(١٩)، ونجح الحسن بن علي في تأسيس دولة الزنج التي امتدت إلى عدة موانئ وجزر من بمبا في الشمال إلى سفالية في الجنوب، وكانت كلوة بمثابة عاصمة لها(٢٠)، وكان لهذه الدولة الفضل في قيام عدة مدن إسلامية على الساحل الشرقي لأفريقيا.

ورغم هذه الهجرة الفارسية، فإنه لم ينته القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلا وكانت مدن الساحل قد استكملت مقوماتها وسماتها العربية؛ إذ ساعدت الهجرات العربية المتوالية على طمس معالمها الفارسية واستحالت إلى مدن عربية صرفة، وهذه المدن من الشمال إلى الجنوب هي مقدشوه، براوة، قسمايو، بات، لامو، زنجبار، موفيه، كلوة، موزمبيق، سفاليه، وانتشر الإسلام فيها جميعاً، وأصبح لكل مدينة مسجدها الخاص(٢١).

وفي بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، قدمت إلى الساحل الشرقي لأفريقيا هجرة عربية كبيرة من إقليم عمان، كان لها أثر كبير في تاريخ المنطقة، إذ تزعَّم هذه الهجرة سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني صاحب عمان، واستقبله العرب في بات

(بيت) استقبالاً طيباً، وتزوج سليمان من أميرة سواحلية هي ابنة اسحق، من سلالة الشيرازيين حكام كلوة، وبعد إتمام الزواج تنازل اسحق عن الحكم لسليمان الذي أصبح أول حكام أسرة بني نبهان في الساحل الشرقي لأفريقيا(٢٢).

واستطاعت الأسرة النبهانية أن تضم إلى مناطق نفوذها معظم الساحل الشرقي لأفريقيا بما فيه الساحل الشرقي للصومال، وذلك في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فضمت إلى حكمها قسمايو، وبراوة، ومقدشوه(٢٢) وظلت الأسرة النبهانية تحكم بيت حتى عام ١٧٤٥م، فقد أبقى البرتغاليون على حكام بات (بيت) من الأسرة النبهانية(٢٣).

ولم تقتصر الهجرات الإسلامية على الساحل الشرقي إلى الصومال، فهناك العديد من الهجرات الإسلامية التي اتخذت طريقها إلى ساحل الصومال الشمالي، منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وعملت على الدعوة إلى الإسلام في هذه المناطق، ولعل من أهم هذه الهجرات تلك الهجرة التي كان على رأسها الشيخ الكبير أبادير الذي دخل هرر في القرن ٤هـ/ ١٠م، وجعل منها قاعدة إسلامية لنشر الدعوة في الصومال والحبشة.

كما وصل إلى ساحل الصومال الشمالي جماعة من سلالة عقيل بن أبي طالب استقرت في أرض زيلع في مدينة جبرت «أوفات»، وازداد نفوذهم في سهل زيلع حتى ظهروا في القرن ٨هـ/١٤م وعرفوا باسم «دول الطراز الإسلامي» وقامت هذه الإمارات بدور هام في نشر الدعوة الإسلامية(٢٤).

كما وفد على الصومال في القرن ٩هـ/ ١٥م جماعة من حضرموت تتكون من ٤٤ شيخاً عربياً للدعوة الإسلامية واستقروا في بادئ الأمر في مدينة بربرة، ثم انتشروا في البلاد، واستطاع أحدهم وهو الشيخ الوقور ابراهيم أبو زرباي أن يسلك طريقه إلى مدينة هرر حوالي سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م حيث قام بنشر الدعوة وإنشاء المساجد، ومازال قبره معظماً في المدينة حتى الآن. ومازال في بربرة «جبل الأولياء» الذي يقال إن هؤلاء المشايخ كانوا يجلسون هناك في خلوة مقدسة للعبادة(٢٥).

وللهجرات العربية الإسلامية إلى

الساحل الصومالي وشرقي أفريقية آثار بعيدة المدى في تطور العلاقات العربية الصومالية في العصور الوسطى، وسوف نقسم هذه الآثار من أجل الدراسة إلى قسمين: الأول ما يتعلق بالآثار المباشرة للهجرات العربية في الساحل الصومالي، والثاني ما يتعلق بهذه الآثار في مجال العلاقات بين العرب والصومال.

وبالنسبة للقسم الأول وهو الآثار المباشرة التي ترتبت على الهجرات العربية إلى الساحل الصومالي وشرق أفريقيا، فإننا نجد هذه الآثار في مختلف مجالات حياة السكان.

في المجال الاقتصادي قام العرب بنقل حاصلات المنطقة مثل العاج والذهب وريش النعام والعسل، والجلود، والموز واللؤلؤ والصمغ واللبان، إلى البلدان المطلة على المحيط الهندي، كما ظهرت هذه السلع في الأسواق العربية في الشام والعراق ومصر. وفي القرن ٤هـ/١٠م كانت بيوت سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي تبنى من أخشاب زنجبار(٢٦).

وكذلك قدم الوطنيون إلى التجار العرب الرقيق من أسرى الحروب الوطنية، فشكل الزنج عنصراً هاماً من عناصر السكان في الدولة العربية الإسلامية، ولعبوا دوراً خطيراً في حياة الدولة(٢٧).

كما قام العرب باستغلال المناجم في الساحل الشرقي لأفريقيا فاستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والحديد. ويؤكد هذا ما ذكره أبو الفدا من أن «معايش أهل الساحل من الذهب والحديد»، وكانت كميات كبيرة من الذهب ترد إلى الدولة الإسلامية من سفالة حتى سميت «بسفالة الذهب»(٢٨).

كما أدخل العرب تربية الأبل في منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا، واعتنى العرب أيضاً بتربية الماشية والأغنام عناية فائقة، حتى أصبحت الجلود من ضمن صادرات المنطقة(٢٩).

وكان للعرب وللإسلام تأثير واضح على الحياة الاجتماعية لسكان الصومال والساحل الشرقي لأفريقيا، فقد اختلطت القبائل العربية بقبائل البانتو الزنجية، وكان من نتيجة هذا الاختلاط شعب الصومال الذي جاءت ملامحه قريبة جداً من الملامح والتقاطيع العربية(٣٠).

وعلى مر السنين ومع تزايد وتطور العلاقات العربية بشرق أفريقيا انتشر الإسلام واللغة العربية بين السكان الوطنيين، ولعب العرب دوراً كبيراً في تحفيظ القرآن وشرح تعاليم الشريعة الإسلامية للأهالي(٣١).

وكان من نتيجة انتشار الإسلام في المنطقة أن انتقلت إلى المنطقة مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، فاهتم السكان في المنطقة ـ على اختلاف عناصرهم ـ بالعلوم الدينية واللغة العربية، حتى أصبحت براوة كجزيرة عربية على ساحل الصومال تجذب الطلاب من مختلف الأنحاء(٣٢).

وكان من نتائج الحملات البرتغالية في أواخر العصور الوسطى ازدياد انتشار الإسلام في المناطق الداخلية، فقد ترك المسلمون السواحل أمام تزايد هجوم المعتدين، ولجأوا إلى الداخل حيث اختلطوا بالقبائل الداخلية ونشروا الإسلام بينها(٣٣).

أما فيما يتعلق بآثار الهجرات العربية على العلاقات بين العرب والصومال فكان من أهم آثارها ازدياد العلاقات وتنوعها في مختلف المجالات، فلم تقتصر العلاقات على التبادل التجاري بل تعدتها إلى مجالات أخرى، إذ تطلع سكان الصومال إلى الدولة العربية الإسلامية باعتبارها الوطن الأم فضلاً عن كونها موطن الحضارة في العالم في ذلك العصر.

فمن الساحل الصومالي سافر طلاب العلم إلى شبه الجزيرة العربية لينهلوا من علوم المعرفة وبخاصة في الدين والفقه، وكان من بينهم الأمراء؛ فقد تنقل السلطان أبو المواهب (١٣٠٨ ـ ١٣٣٤م) قبل ارتقائه عرش السلطنة في كلوة، بين عدن ومكة لطلب العلم، وكان قد وصل إلى مكة وهو لم يزل في الرابعة عشرة من عمره(٣٤).

وإذا أضفنا إلى ذلك تنقل طلاب الساحل الصومالي بين مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة من أجل العلم، وانتشار الإسلام في الصومال وما تبع ذلك من خروج وفود الحجاج إلى مكة في كل عام، لأدركنا أثر الهجرات العربية إلى الصومال في توثيق العلاقات العربية الصومالية في العصور الوسطى.

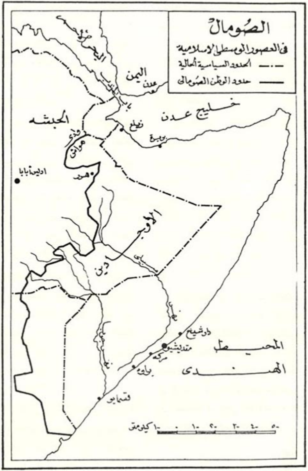
الصومال
في العصور الوسطى الإسلامية
الحدود السياسية الحالية
حدود الوطن الصومالي
البحر الاحمر
اليمن
عدن
باب المندب
خليج عدن
الحبشة
زيلع
بربرة
وادي هواش
هرر
اديس ابابا
الاوجادين
شبيلى
نهر
جوبا
ورشيخ
مقديشو
مركه
براوه
قسمايو
المحيط الهندى
١٠٠ كيلومتر ٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠

أهم مراكز الدعوة الإسلامية في الصومال

مقدشوه :

من أقدم مدن الساحل الصومالي الشرقي وأعرقها قدماً في الحضارة، إذ يعتبر موقعها من أصلح مواقع الساحل لرسو السفن، وقد عرفه المصريون القدماء وأهل بابل وآشور والفينيقيون والرومان، وقد عرف هذا الموقع عند الرومان باسم «سيرابيون Serabion»، وعرف في العصور الوسطى باسم «حمر Hamer» أي أرض الذهب، وقد أتاح لها هذا الموقع القريب من عدن السيطرة إلى حد كبير على حركة التجارة في المحيط الهندي(٣٥).

وإلى هذا الموقع وصلت الهجرة العربية التي عرفت باسم هجرة «الإخوة السبعة»(٣٦)، وذلك في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد نزلوا ساحل بنادر وأسسوا مدينة مقدشوه في بادىء الأمر، ثم أسسوا مدينة براوة إلى الجنوب من مقدشوه فيما بعد(٣٧).

واختلفت آراء الباحثين حول تفسير اسم المدينة «مقدشوه» فيرى بعضهم أنها من كلمتين عربية وفارسية، وهما: «مقعد ـ شاه» إشارة إلى المكان المفضل الذي اتخذه الحاكم مقراً لحكمه، ثم نطقت الكلمتان معاً(٣٨)، أو نسبة للمكان الذي اتخذه الشيخ مكاناً لجلوسه «مقعد الشيخ»(٣٩)، ويرى البعض أن كلمة «مقدشوه» بالصومالية تعني المكان الذي تتجمع فيه الأغنام للبيع(٤٠).

وعبر عنها الرحالة والكتاب الغربيون بنطق مختلف، كل حسب لغته أو لهجته مثال ذلك: **موجديشيو** Mougidishu، **وموجودسكوا** Mougoudiskua، **وموجاديشوا** Mougadishua، **ومقدشيكو** Makdishiku، **ومقديسكو أو مجدكسو** Magdiksu(٤١)، أما الجغرافيون العرب فقد كتبوها «**مقدشو**» واختلفوا في حركة حرف الدال فيقول ياقوت: «مقدشو بالفتح ثم السكون، وفتح الدال، وشين معجمية»(٤٢)، ويقول أبو الفدا: «مقدشو بفتح الميم، وسكون القاف، وكسر الدال المهملة، وضم الشين المعجمية»(٤٣).

وفي البداية تكونت مقدشوه من ضاحيتين أساسيتين هما: حمروين، وشنغاني، وكانت ضاحية حمروين تمتد على طول الساحل من كران إلى ساحل حمر (المكان المعروف حالياً باسم حمر جب جب)، أما شنغاني فهي مشتقة من اسم حي كان في مدينة نيسابور ببلاد فارس، وسميت بهذا الاسم تخليداً لذكرى علماء نيسابور القاطنين بمقدشوه. أما كلمة «حمروين» فمركبة من كلمتين عربية وصومالية «حمر» بمعنى الذهب، و«وين» بالصومالية تعنى كثير.

والأسطورة الصومالية القديمة التي تفسر كلمة «حمروين» لها دلالات تاريخية خاصة، فهي تحكى أن رجلاً عربياً وزوجته كانا على سفر على ظهر ناقة حمراء عرجاء وأتى عليهما الليل، فنزل الرجل ليؤدي صلاة فريضة المغرب، في مكان يقع أمام موضع مسجد «أربع ركن»، وبعد أن انتهى الرجل من صلاته تقدم إليه أربعة غرباء من أولياء الله الصالحين، ونزلوا عليه ضيوفاً، وتشاور الرجل مع زوجته في طعامهم، ولم يجد سوى ناقته فذبحها لهم، فأكل الضيوف الناقة، وافترشوا جلدها، وناموا ليلتهم. وفي الصباح ترك الغرباء المكان، ولما جاءت الزوجة لم تجد الضيوف، وإنما وجدت أشياء لامعة على جلد الناقة فنادت زوجها وعندما حضر قال: حمر، حمر، فقالت الزوجة: وين، وين (ذهب، ذهب .. كثير، كثير)، وبعدئذ قام الزوج وزوجته بصرف الحمر (الذهب) في بناء مدينة في هذا المكان الذي عرف بـ«حمروين»، وفي أرجح الأساطير أنه أساس مدينة مقدشوه[٤٤].

ومن دلالات هذه الأسطورة الصومالية أن الرجل عربي مسلم وزوجته صومالية، فهي تؤكد اختلاط العرب المسلمين بالصوماليين منذ زمن قديم، وأن الكلمات التي نطقوا بها، والتي أصبحت علماً على المكان هي كلمات عربية صومالية، وأن الزوجين اشتركا في بناء مدينة كانت أساساً لمدينة مقدشوه، أي أن العرب والصوماليين شاركوا في وضع أساس مدينة مقدشوه.

وقد أكدت الحفريات والدراسات التي أجريت في مقدشوه أن المدينة القديمة كانت أصلاً في منطقة معسكرات المطار الحالية والتي تسمى «حمرجب جب».

ومهما يكن من أمر فقد أسست هجرة الإخوة السبعة مدينة مقدشوه، ولما كانت هذه الهجرة قد سبقتها هجرات عربية إسلامية إلى نفس الموقع، وبخاصة هجرة الزيدية. فقد حدث صدام بين الهجرة الوافدة، والهجرة المستقرة بسبب الاختلاف في المذهب، فهجرة الإخوة السبعة سنة شافعية، والزيدية من غلاة الشيعة، وانتهى الأمر بانسحاب الزيدية إلى المناطق الداخلية(٤٥).

وبعد أن تغلبت هجرة الإخوة السبعة على الصعاب التي واجهتها بدأت في وضع الأسس والتشريعات التي تكفل لهم الاستقرار، فتكوّن مجلس من كبار العرب من اثني عشر عضواً يرأسهم «شيخ» لا يحمل لقب سلطان أو ملك، ويسمى هذا المجلس «مجلس المدينة» وله كافة السلطات، وإلى جانبه مجالس فرعية في كل حي من أحياء المدينة وهي في شكل طائفة تخضع لشيخها الذي يتولى أمرها، ويقوم بإكرام الغرباء وقضاء حاجاتهم(٤٦).

وباتساع المدينة حدث ترابط بين السكان العرب والصوماليين، وبموجب اتفاقية عقدت في القرن ٤ هـ/ ١٠م بين العرب والفرس من جهة، وبين القبائل الصومالية من جهة أخرى تكوّن اتحاد فيدرالي من نحو **٣٩** قبيلة عربية وصومالية على صورة مجلس من الأشراف وأعيان القبائل للنظر في أمور البلاد بعد أن أصبحت مقدشوه عاصمة لساحل بنادر(٤٧).

استمر الحكم الفيدرالي المتمثل في الشورى بين العرب والفرس والصوماليين نحو قرنين من الزمان، حتى تم انتخاب أبو بكر فخر الدين سلطاناً على البلاد وذلك حوالي سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٠م، وكان إعلان سلطنة «أبو بكر» الوراثية نهاية للحكم الفيدرالي، وبداية الحكم الصومالي(٤٨).

وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي زار الرحالة ابن بطوطة مدينة مقدشوه(٤٩)، كما مر بها فاسكو دي جاما عام **٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م** في طريق عودته من قاليقوط ووجدها مدينة عامرة بالبيوت الجميلة، ولها الحصون، وقد اتفق معه في الرأي كابرال الذي كتب عنها سنة ١٥٠٠م(٥٠).

أما الكاتب البرتغالي باريوسا فيقول عنها إنها مدينة عظيمة وهي ذات تجارة

مزدهرة إذ يرد إليها أنواع من المتاجر المختلفة من أهمها المنسوجات القطنية من الهند تحملها السفن الكبيرة التي تأتي من كمباي، ومن المتاجر الأخرى التوابل، كما تأتي إليها بنفس الطريقة المتاجر من عدن، وفي مقابل بضائعهم يأخذون الذهب والعاج والشمع والصمغ، ونتيجة لهذا التبادل التجاري أثرى تجارها ثراء فاحشاً، وفي هذه المدينة توجد كميات كبيرة من اللحوم، ويزرع بها الشعير، وتربى الخيل، وتنمو بها أنواع الفاكهة، وهي مدينة تشتهر بالغنى، ويتكلم أهلها العربية، والناس يميلون إلى السمرة والسواد، وقليل منهم بيض، ويبدو أن سكانها كانوا مسلمين، فيقول عنهم إنه كانت لديهم أسلحة قليلة، ولكنهم لا يستعملونها(٥١).

مركة :

ومن مراكز الدعوة الإسلامية على ساحل الصومال الشرقي مدينة «مركة» التي تقع على المحيط الهندي في الساحل الشرقي للصومال، وهي جنوب مقدشوه وشمال براوة، وهي تقع على الطريق البحري التقليدي بين الساحل الشرقي لأفريقيا وبلاد العرب، وهي من مجموعة المدن التي ينسبها المؤرخ ستيجاند Stigand إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(٥٢)، وعندما وصلت إلى ساحل الصومال هجرة الإخوة السبعة جعلت من مركة مدينة سياسية هامة، ومركزاً من مراكز الدعوة الإسلامية، حتى أنه توجد في مركة الآن طوائف تدعى انتمائها إلى الإخوة السبعة(٥٣).

ومن المعروف أن هجرة الإخوة السبعة نزلت في أماكن متعددة على ساحل بنادر ويبدو أن جماعة منهم نزلوا مركة وشيدوا لهم بها مسجداً صار فيما بعد مركزاً لكثير من الأسر الصومالية.

ويذكر ياقوت مدينة: مركة: بالفتح ثم السكون، وأنها مدينة لبربر السودان أي للصوماليين.(٥٤) أما أبو الفدا فيذكر أن مركة أهلها مسلمون(٥٥). ويدل هذا على أن سكان مركة في العصور الوسطى كانوا في غالبيتهم من الصوماليين وأنهم كانوا جميعاً مسلمين، مما يؤكد أهمية مركة كمركز للدعوة الإسلامية على طول الساحل الصومالي، وفي الأقاليم الداخلية.

وتزداد أهمية مركة في نشر الإسلام، إذ أن مركة قامت كمركز تجاري يقع على الطريق بين شمال وجنوب الصومال، وأن سكانها كانوا في بداية الأمر من العرب، ثم من الذين يمتون بالأنساب إلى العرب، ثم صارت تمتلىء بالعنصر الصومالي المسلم(٥٦).

بـراوة:

ومن مراكز الدعوة الإسلامية أيضاً على الساحل الصومالي الشرقي مدينة «براوة»، وتقع جنوب مركة شمال نهر جوبا، وتذكر بعض الروايات أن جماعة عبد الملك بن مروان هم الذين أسسوا مدينة براوة في القرن الأول الهجري(٥٧)، وهناك روايات أخرى تذكر أن أول من سكن منطقة براوة رجل من قبيلة قرة يدعى «أوعلي»، وصلها حوالي عام ٢٨٨ هـ /٩٠٠م، وكانت براوة في ذلك الوقت منطقة موحشة غابية لا تسكنها إلا الوحوش الضارية، غير أن أو علي أعجب بطيب هوائها على ساحل البحر، فاستعان بالمواطنين الأوائل في قطع أشجارها وأعشابها، وأقام بها عدداً من المساكن أطلق عليها «براوة بن أو علي»، وبن معناها الفضاء الكبير، فيصبح المعنى «براوة فضاء أو على»(٥٨).

وتتفق معظم الروايات التاريخية على أن تأسيس براوة إنما يرجع إلى هجرة الإخوة السبعة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(٥٩).

ومهما يكن من أمر، فقد وفد على براوة بعد تأسيسها جماعات صومالية مسلمة عرفت باسم «التن»، من سكان الساحل الصومالي، وعمروا المساجد، وأقاموا الكثير منها في داخل البلاد، ثم توافد عليهم جماعات وردان أي الجالا من تيوين وهم لادين لهم، وقدموا مع ملك يدعى «براوات» ويقال إن المدينة أخذت اسمها عن هذا الملك، وأن الجالا أقاموا مع المسلمين في براوة مدة ثلاثمائة عام(٦٠).

ثم وصلت إلى براوة جماعات مهاجرة من «الحمرائيين» من عائلة كران، ووال، ثم وفدت عليها في حوالي عام ٩٠٠ هـ/ ١٥٠٠م جماعة من قبيلة حاتم الطائي المشهور بالكرم والجود في الجزيرة العربية، وقامت هذه الجماعة بالعمارة في براوة، وأسست المساجد، وعملت على نشر الدعوة الإسلامية على

نطاق واسع في المناطق المجاورة(٦١).

وهكذا أصبحت براوة من أهم مراكز الدعوة الإسلامية على الساحل الصومالي، يفد إليها طلاب العلم من البوادي والأماكن النائية لشهرة علمائها وتفقههم في الدين، وقد حملت مساجدها أسماء الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، كما انتشر بها معلمو الطرق الصوفية ومنها القادرية (الإدريسية والزيلعية)، والأحمدية (رحمانية ورشيدية) وكذلك الطرق الرفاعية.

وفي السنوات الأولى من القرن السادس عشر الميلادي وصفها الكاتب البرتغالي باربوسا بأنها مدينة عظيمة، بها منازل مبنية بالحجر والملاط، وليس لديها ملك بل تحكم عن طريق أكبر السكان سناً وأقدمهم استقراراً بأرضها، والذين يكنّ لهم السكان احتراماً كبيراً، ولديهم خبرة في المعاملات التجارية على اختلاف أنواعها، وهذه المدينة ضربها البرتغاليون، وذبحوا وأسروا عدداً كبيراً من السكان، واستولوا على كميات كبيرة من الفضة والذهب والبضائع(٦٢).

هرر :

دخل الإسلام إلى هرر منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ثم انتشر بها على يد الشيخ أبادير في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وظهرت هرر كأقوى مركز إسلامي في منطقة شرق أفريقيا في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فقد كانت مركزاً للفقه والتعاليم الإسلامية لشبه جزيرة الصومال وغيرها، ثم بلغت قمة مجدها عندما اتخذها الإمام أحمد جرى الصومالي قاعدة للحكم ولنشر الدعوة.

والواقع أن هرر أصبحت مركز التجمع لشعب الأوجادين ولسكان غرب الصومال بصفة عامة في العصور الوسطى الإسلامية، فقد كانت مركزاً لتجمع خيرة العلماء والشيوخ والفقهاء، وما تبع ذلك من كثرة مساجدها، وانتشار الإسلام بين ربوعها(٦٣).

دول الطراز الإسلامي:

ظهرت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي سبع دول إسلامية في ساحل الصومال الشمالي وما يليه جنوباً، أي في «الأراضي المقابلة لبر اليمن

على أعالي البحر الأحمر وما يتصل به من بحر الهند»، وكانت تسمى «الطراز الإسلامي» لأنها على جانب البحر كالطراز له(٦٤)، أي أنها تمتد على طول ساحل البحر دون أن تتسع كثيراً في الداخل، وهي البلاد التي كان يقال لها – في ذلك العصر – في مصر والشام «بلاد الزيلع»(٦٥).

شغلت هذه الدول سهل زيلع شمالاً وأرض هرر جنوباً، وتوغلت في الأراضي الخاضعة – حالياً – للحبشة، وكان يطلق على ملوك هذه الدول اسم: ملوك عدل، أو ملوك زيلع.

ويعتبر المقريزي أول كاتب عربي يفصل الحديث عن هذه الإمارات السبع وذلك في كتابه «الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام»(٦٦)، ويذكر أن إقليم الطراز الإسلامي يضم سبع إمارات يحكم كلاً منها ملك مسلم(٦٧)، وهذه الإمارات السبع هي:

١ – إيفات (وفات): والعامة تسميها «أوفات»، ويقال لها أيضاً «جبرة»(٦٨).

ويمكن من الوصف الذي ذكره المقريزي أن نضع امارة إيفات على الخرائط الحالية ممتدة من شرق شو إلى شمال أديس أبابا إلى وادي هواشي إلى خليج عدن(٦٩).

ويذكر المقريزي أن أول من أقام في هذه الدولة هم قوم من قريش من بني عبد الدار أو من بني هاشم من ولد عقيل ابن أبي طالب، قدم أولهم من بلاد الحجاز، وعرفت جماعة منهم بالخير واشتهروا بالصلاح، وظهر من بينهم رجل يسمى عمر ويلقب «ولشمع»، حكم مدينة أوفات وأعمالها.

أورث عمر هذه الإمارة لأولاده الأربعة أو الخمسة الذين تولوا عرشها واحداً بعد آخر، وكان أول من خرج على طاعة ملك الحبشة هو على حفيد عمر ولشمع، أما أول من استبد بالأمور وحارب ملك الحبشة فعلاً وأسر الكثير من عساكره، وغنم أمواله فهو «حق الدين» الذي استطاع أن يجمع حوله الناس، وأن يهزم جيوش الملك الحبشي «سيف أرعد» (١٣٤٤ – ١٣٧٢م)(٧٠).

وفي وصف لهذه الإمارة يرجع إلى القرن ٨هـ/ ١٤م، نقلاً عن الشيخ

عبدالله الزيلعي: «وطول مملكتها خمسة عشر يوماً وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد. قال: وكلها عامرة، آهلة بقرى متصلة، وهي أقرب أخواتها إلى الديار المصرية وإلى السواحل المسامتة لليمن، وهي أوسع الممالك السبع أرضاً، والإجلاب إليها أكثر لقربها من البلاد، وعسكرها خمسة عشر ألفاً من الفرسان، ويتبعهم عشرون ألفاً فأكثر من الرجالة»(٧١).

٢ ـ دوارو: وتقع إلى الجنوب من إمارة إيفات، ويبلغ طولها خمسة أيام وعرضها يومان، ورغم صغر حجمها إلا أن عسكرها يعادل عسكر إيفات، ويمكن وضعها على الخرائط الحالية فيما بين نهر هواش وأعالي نهر شبيللي، وهي المنطقة التي تعرف حالياً باسم آتو(٧٢).

٣ ـ أرابيني: وتقع شمال شرقي بحيرة تانا، وهي إمارة صغيرة مربعة الشكل طولها أربعة أيام وعرضها كذلك(٣).

٤ ـ هدية: وتقع جنوبي إيفات، وطولها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام، ورغم أنها أصغر من إيفات مساحة، إلا أنها أقوى الممالك السبع، وأكثرها خيلاً ورجالاً، وهي تقع في أعالي نهر أدمو الذي يصب في بحيرة رودلف وهي المنطقة التي تعرف اليوم باسم بوران واندى(٧٤).

٥ ـ شرحا: بفتح الشين المعجمة، وسكون الراء المهملة، وحاء ثم ألف، وطولها ثلاثة أيام، وعرضها أربعة أيام، وعسكرها قليل، وتقع غرب إيفات بين هدية ودوارو(٧٥).

٦ ـ بالي: بفتح الباء الموحدة وألف ثم لام وياء آخر الحروف، وتلي شرحاً، غير أنها أكثر خصوبة، وأبرد هواء، ويحدها شمالاً نهر شبيللي ومن الجنوب نهر جرانا، وبهذا الوضع الجغرافي فإنها تتحكم في وادي الصومال، والعنصر الغالب على سكانها عنصر السيداما، ويسكن جنوبه فريق من عنصر الجالا. وتعتبر هذه السلطنة أكثر بلاد الزيلع خصوبة(٧٦).

٧ ـ دارة: بفتح الدال المهملة، وألف بعدها راء ثم هاء، وهي تلي إمارة بال، وطولها ثلاثة أيام وعرضها كذلك، وهي أضعف الإمارات السبع وأقلها خيلاً ورجالاً(٧٧).

ونستطيع أن نخرج من هذا العرض للدول أو الإمارات السبع، أن معظم

أراضي مملكة إيفات تقع في الصومال الحالي، وأنها كانت تمتد لتمثل أراضي من جنوب الحبشة بحدودها الحالية، ولما كانت إيفات أو جبرة هي أوسع الممالك السبع أرضاً، والإجلاب إليها أكثر لقربها من البلاد (٧٨)، لذا فإنه لم يلبث أن طغى اسمها على أسماء الممالك الأخرى، وأصبح يطلق على جميع الإمارات الإسلامية في شرق الحبشة وجنوبها أي في شمال الصومال وغربها، بل إن اسمها أصبح يطلق على جميع المسلمين في الحبشة، بل ويتعدى هذا النطاق فيطلق الأحباش المسيحيون اسم «جبرت» على المسلمين في شبه جزيرة العربية، أي أن كلمة «جبرت» أصبحت مرادفة لكلمة «مسلم» بصفة عامة في شمال الصومال وغربه، وفي الحبشة أيضاً (٧٩).

وكان سكان إيفات خليطاً من: العرب، والصوماليين، والدناقل، وبعض العناصر الآسيوية، وكانت «زيلع» التي ذكر اسمها لأول مرة أحد الجغرافيين العرب في القرن ٣هـ/٩م (٨٠)، والتي تعتبر في الأصل مركزاً لأمارة «عدل»، وهي المحور السياسي للمستوطنين المسلمين في ساحل الصومال الشمالي، والمركز الرئيسي للتجارة حيث تتجمع فيها منتجات شمال الصومال، والحبشة ومحصولات اليمن.

ومن زيلع قام مسلمو الإمارات السبع بدور بارز في نقل المتاجر وخاصة بالنسبة لطريقين:

(أ) المتاجر التي ينقلها العرب بحراً من عدن إلى زيلع وعدل، كانت تحمل براً إلى الشمال إلى عيذاب حيث ينتظرها التجار لنقلها إلى قوص فالقاهرة.

(ب) بعض التجار كانوا يسيرون مع الطريق السابق إلى سواكن فقط، ومنها يخترقون السهل السوداني إلى النيل النوبي حيث يصعدون بها براً إلى القاهرة، أو يحملونها براً أيضاً إلى حوض النيجر وساحل غانة أو إلى مملكة مالي في الغرب.

فكانت تنقل إلى زيلع منتجات الحبشة من اللبان والبخور وسن الفيل، حيث تتجمع لتحمل مع التجارة الهندية إلى عيذاب، سواء براً أو بحراً، لتصل إلى أوربا، أو إلى عدن لتحمل إلى الهند وموانىء شرق أفريقيا، والواقع أن احتكار مسلمي شمال الصومال للنشاط

التجاري في العصور الوسطى كان من العوامل المشجعة لزيادة الروابط الاقتصادية بين هذه البلاد من جهة وكثير من جهات العالم الإسلامي، وعلى رأسها مصر، ويكفي في هذا المجال أن نشير إلى ما يذكره القلقشندي من أن أهل أوفات وأعمالها «معاملتهم بدنانير مصر ودراهمها الواصلة إليها صحبة التجار»(٨١).

ولكن علاقة مسلمي الإمارات السبع بمصر في العصور الوسطى لم تقتصر على العلاقات التجارية، ولكنها امتدت إلى النواحي الدينية والثقافية خاصة بعد أن تم إحياء الخلافة العباسية بمصر سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م؛ فتوافد على مصر أساتذة العلم وطلابه من مسلمي شمال الصومال حتى صار لهم بالأزهر أروقة خاصة بهم، ومن هؤلاء العلماء الإمام الزيلعي فخر الدين عثمان بن علي (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)(٨٢) والمحدث الزيلعي جمال الدين عبدالله بن يوسف ابن محمد (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)(٨٣) والعارف بالله الشيخ علي الجبرتي (ت ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) الذي اعتقد السلطان قايتباي في صلاحه وولايته، ومنهم أيضاً الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ـ الجد السابع لمؤرخ مصر الكبير ـ الذي رحل من الحبشة إلى مصر في أوائل القرن ١٠هـ/ ١٦م وجاور بالأزهر وتولى مشيخة رواق الجبرتية(٨٣).

والواقع أن إمارة «إيفات» باعتبارها مركزاً من مراكز الدعوة الإسلامية في شمال الصومال، نجد أنها تزعمت الحركة الإسلامية في هذه المنطقة وبخاصة في مواجهة مسيحيي الحبشة، فعملت على توحيد المسلمين في جبهة وقفت طويلاً أمام أطماع الحبشة المسيحية، ودخلت معها في حروب طويلة اتخذت سمة الجهاد الديني الإسلامي(٨٥).

* * * *

الصومال والرحالة المسلمون

كان لازدهار الحضارة الإسلامية في الصومال في العصور الوسطى أثر كبير في اهتمام الجغرافيين المسلمين والرحالة المسلمين بالصومال ومدنها، ويظهر هذا الاهتمام بوضوح إذا رجعنا إلى كتابات كل من: ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، والمسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، والإدريسي في

كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. هذا فضلاً عن كتابات القلقشندي والمقريزي، وأبي الفدا وغيرهم.

وفي هذا المجال نركز على اثنين فقط من الرحالة المسلمين الذين ثبت تاريخياً بما لا يدع مجالاً للشك أنهما زارا الصومال في العصور الوسطى الإسلامية، وأعني بهما المسعودي، وابن بطوطة.

المسعودي في الصومال:

هو علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ذرية عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل.

نشأ المسعودي في بغداد، وقام بأول رحلاته سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، واستمرت رحلته ثلاث سنوات قضاها متنقلاً بين ربوع فارس وكرمان، ثم جاب بعد ذلك بلاد الهند، وسكن في مدينة بومباي حتى سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٧م، ومن المحتمل أن يكون أقام فترة في جزيرة سيلان، ثم رحل إلى سواحل شرق أفريقيا، ومنها إلى عمان، ويبدو أنه وصل إلى حدود الصين.

تعمق المسعودي في دراسة الحدود الإسلامية، واستعان على ذلك بالآلات العلمية التي كانت معروفة في حياته.

ويحدثنا المسعودي أنه كان في سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م في فلسطين وفي أنطاكية، وتنقل بعد ذلك بين العراق وسوريا ومصر، وتوفي بالفسطاط بمصر سنة ٤٣٦هـ/ ٩٥٧م(٨٦).

ويبدو من كتابات المسعودي أنه زار السواحل الصومالية أكثر من مرة، وأن آخر مرة كانت سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٧م إذ يقول: «وآخر مرة ركبت فيه (بحر الزنج) في سنة أربع وثلاثمائة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عمان»(٨٧).

ولما كان أكثر اهتمام المسعودي بالمعالم الجغرافية، فهو يحدثنا عن المحيط الهندي تجاه السواحل الصومالية، وهو يسميه «بحر الهند»، و«البحر الحبشي»، ويطلق على خليج عدن اسم «الخليج البربري»، ويرى أن ذلك نسبة إلى ناحية «بربري» (بربرة)، كما يطلق على الأجزاء الجنوبية من المحيط الهندي تجاه السواحل الصومالية الجنوبية اسم «بحر الزنج».

ابن بطوطة في الصومال:

ولرحلة ابن بطوطة إلى الصومال أهمية خاصة، ذلك أنها تمت في الثلث الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م، بعد أن ازدهرت الحضارة الإسلامية في مقدشوه فأعطانا صورة حقيقية لما وصل إليه المجتمع الإسلامي في الصومال من تقدم وازدهار.

ولما كان ابن بطوطة قد اشتهر بالصدق والأمانة حتى أن المستشرق الكبير «دوزي» أطلق عليه «الرحالة الأمين»، فإن كتاباته عن الصومال تزداد أهمية لصدقها، وبعدها عن الخيال الذي يكون عادة آفة أدب الرحلات، فضلاً عن أن كتابات ابن بطوطة عن الصومال تضم دقائق وتفاصيل خفيت عن كثير من الرحالة قبله، فوصف عادات الناس في المأكل والملبس، وتقاليد الضيافة، وبعض العادات المنزلية، وتقاليد ورسوم السلطنة. وهذه الصور التي قدمها ابن بطوطة لهذا المجتمع تدل على مدى التقدم الحضاري الذي بلغه المجتمع الصومالي في العصور الوسطى الإسلامية، والذي كان للإسلام ـ كدين وعقيدة ـ أكبر الأثر فيه.

بدأ ابن بطوطة رحلته إلى الصومال بزيارة زيلع فقال عنها: «وهي مدينة البرابرة. وهم طائفة من السودان شافعية المذهب. وبلادهم صحراء مسيرة شهرين. أولها زيلع وآخرها مقدشو. ومواشيهم الجمال. ولهم أغنام مشهورة السمن ... وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة(٨٨).

وهذه الكلمات القليلة التي أوردها ابن بطوطة عن زيلع إنما تفيدنا أن الصومال في العصر الإسلامي امتد من زيلع إلى مقدشوه، وأن الثروة الحيوانية تمثلت في الابل والأغنام، وأكثر من هذا يؤكد لنا أن سكان الصومال مسلمون شوافع.

لم يمكث ابن بطوطة طويلاً في زيلع، ومنها سافر بحراً إلى مقدشوه، وقطع هذه الرحلة البحرية في خمس عشرة ليلة. ونورد فيما يلي النص الكامل لرواية ابن بطوطة منذ وصوله على المركب إلى مقدشوه حتى رحيله عنها، وسوف نلاحظ مدى دقة ابن بطوطة واهتمامه بالعادات والتقاليد، واهتمامه أيضاً بالنظم والرسوم التي كانت سائدة في مقدشوه، وأكثر من ذلك سوف

نقف على مدى التقدم الحضاري الذي وصلت إليه مقدشوه في العصور الوسطى الإسلامية:

مدينة مقدشو:

ثم سافرنا منها **(من زيلع)** في البحر خمس عشرة ليلة، ووصلنا مقدشو، وهي مدينة متناهية في الكبر، وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين في كل يوم، ولهم أغنام كثيرة، وهم تجار أقوياء. وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها.

ومن عادة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب إلى المرسى تصعد الصنابق ـ وهي القوارب الصغار ـ إليه، ويكون في كل «صنبوق» جماعة من شبان أهلها، فيأتي كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام، فيقدمه لتاجر من تجار المركب، ويقول: هذا نزيلي وكذلك يفعل كل واحد منهم.

ولا ينزل التاجر من المركب إلا إلى دار نزيله من هؤلاء الشبان، إلا من كان كثير التردد إلى البلد وعرف أهله، فإنه ينزل حيث شاء. فإذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له. ومن اشترى منه ببخس، أو باع منه بغير حضور نزيله، فذلك البيع مردود عندهم، ولهم منفعة في ذلك.

ولما صعد الشبان إلى المركب الذي كنت فيه جاء إليّ بعضهم فقال له أصحابي: ليس هذا بتاجر، وإنما هو فقيه.

فصاح بأصحابه وقال لهم: هذا نزيل القاضي.

وكان فيهم أحد أصحاب القاضي، فعرفه بذلك، فأتى إلى ساحل البحر في جملة من الطلبة، وبعث إليّ أحدهم، فنزلت أنا وأصحابي، وسلمت على القاضي وأصحابه، وقال لي: باسم الله تتوجه للسلام على الشيخ.

فقلت: ومن الشيخ؟
فقال: السلطان.
وعادتهم أن يقولوا للسلطان الشيخ.
فقلت له: إذا نزلت توجهت إليه.
فقال لي: إن العادة إذا جاء الفقيه أو الشريف أو الرجل الصالح ألا ينزل حتى يرى السلطان.

فذهبت معهم إليه كما طلبوا.

ذكر سلطان مقدشو

وسلطان مقدشو، كما ذكرناه، إنما يقولون له الشيخ، واسمه أبو بكر ابن الشيخ عمر. وهو في الأصل من البرابرة، وكلامه بالمقدشي، ويعرف اللسان العربي. ومن عاداته أنه متى وصل مركب يصعد إليه صنبوق السلطان، فيسأل عن المركب من أين قدم؟ ومن صاحبه؟ ومن ربانه (وهو الرئيس)؟ وما وسقه؟(٨٩) ومن قدم فيه من التجار وغيرهم؟ فيعرف بذلك كله، ويعرض على السلطان، فمن استحق أن ينزله عنده أنزله.

ولما وصلت مع القاضي المذكور (وهو يعرف بابن البرهان المصري الأصل) إلى دار السلطان، خرج بعض الفتيان فسلم على القاضي، فقال: بلغ الأمانة، وعرف مولانا الشيخ أن هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز، فبلغ.

ثم عاد وأتى بطبق فيه أوراق التانبول(٩٠) (٩١) ، فأعطاني عشر أوراق مع قليل من الفوفل، وأعطى القاضي كذلك، وأعطى أصحابي وطلبة القاضي ما بقي في الطبق، وجاء بقمقم من ماء الورد الدمشقي فسكب علي وعلى القاضي، وقال: إن مولانا أمر أن ينزل بدار الطلبة (وهي دار معدة لضيافة الطلبة).

فأخذ القاضي بيدي وجئنا إلى تلك الدار، وهي بمقربة من دار الشيخ، مفروشة مرتبة بما تحتاج إليه. ثم أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه، وهو الموكل بالضيوف، فقال: مولانا يسلم عليكم ويقول لكم: قدمتم خير مقدم.

ثم وضع الطعام فأكلنا. وطعامهم الأرز المطبوخ بالسمن، يجعلونه في صحفة خشب كبير، ويجعلون فوقه صحاف «الكوشان» وهو الادام من الدجاج واللحم والحوت والبقول، ويطبخون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب، ويجعلونه في صفحة ويجعلون اللبن الرائب في صحفة، ويجعلون عليه الليمون المصبّر، وعناقيد الفلفل المصبر المخلل والمملوح، والزنجبيل الأخضر والعنب(٩٢) ، وهي مثل التفاح ولكن لها نواة. وهي ـ إذا نضجت ـ شديدة الحلاوة، وتؤكل كالفاكهاة، وقبل نضجها حامضة كالليمون، يصبرونها في

الخل. وهم إذا أكلوا لقمة من الأرز أكلوا بعدها من هذه الموالح والمخللات.

والواحد من أهل مقدشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة، وهم في نهاية من ضخامة الجسوم وسمنها.

ثم لما طعمنا انصرف عنا القاضي. وأقمنا ثلاثة أيام يؤتى إلينا بالطعام ثلاث مرات في اليوم، وتلك عادتهم.

فلما كان اليوم الرابع، وهو يوم الجمعة، جاءني القاضي والطلبة وأحد وزراء الشيخ وأتوني بكسوة. وكسوتهم فوطة خز يشدها الإنسان في وسطه عوض السراويل فإنهم لا يعرفونها، ودراعة من المقطع المصري معلمة، وفرجية من القدسي مبطنة وعمامة مصرية معلمة. وأتوا لأصحابي بكسى تناسبهم.

وأتينا الجامع فصلينا خلف المقصورة، فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي، فرحب، وتكلم بلسانهم مع القاضي، ثم قال باللسان العربي: قدمت خير مقدم، وشرفت بلادنا وآنستنا.

وخرج إلى صحن المسجد، فوقف على قبر والده (وهو مدفون هناك) فقرأ ودعا، ثم جاء الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد فسلموا.

وعادتهم في السلام كعادة أهل اليمن: يضع سبابته في الأرض ثم يجعلها على رأسه ويقول: أدام الله عزك؟

ثم خرج الشيخ من باب المسجد، فلبس نعليه، وأمر القاضي أن ينتعل وأمرني أن أنتعل، وتوجه إلى منزله ماشياً وهو بالقرب من المسجد، ومشى الناس كلهم حفاة.

ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون، وعلى أعلى كل قبة صورة طائر من ذهب، وكان لباسه في ذلك اليوم فرجية قدسية خضراء، وتحتها من ثياب مصر وطروحتها الحسان، وهو متقلد بفوطة حرير، ومعتم بعمامة كبيرة. وضربت بين يديه الطبول والأبواق والأنقر، وأمراء الأجناد أمامه وخلفه، والقاضي والفقهاء والشرفاء معه.

ودخل إلى «مشور» على تلك الهيئة، وقعد الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد في سقيفة هنالك، وفرش للقاضي بساط لا يجلس عليه غيره، والفقهاء والشرفاء معه.

ولم يزالوا كذلك إلى صلاة العصر، فلما صلوا العصر مع الشيخ أتى جميع الأجناد ووقفوا صفوفاً على قدر مراتبهم، ثم ضربت الأطبال والأنفار والأبواق والصرنايات. وعند ضربها لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مقامه، ومن كان ماشياً وقف فلم يتحرك إلى خلف ولا إلى أمام.

فإذا فرغ من ضرب «الطبلخانة» سلموا بأصابعهم كما ذكرنا وانصرفوا. وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة.

وإذا كان يوم السبت يأتي الناس إلى باب الشيخ فيقعدون في سقائف خارج الدار، ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجاج إلى «المشور» الثاني، فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك. ويكون القاضي على دكان وحده، وكل صنف على دكان لا يشاركهم فيه سواهم.

ثم يجلس الشيخ بمجلسه، ويبعث إلى القاضي فيجلس عن يساره. ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبراؤهم بين يديه، وسائرهم يسلمون وينصرفون. ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبراؤهم بين يديه، ويسلم سائرهم وينصرفون، وإن كانوا ضيوفاً جلسوا عن يمينه. ثم يدخل المشايخ والحجاج فيجلس كبراؤهم، ويسلم سائرهم وينصرفون. ثم يدخل الوزراء ثم الأمراء ثم وجوه الأجناد: طائفة بعد طائفة أخرى، فيسلمون وينصرفون.

ويُؤتى بالطعام فيأكل بين يدي الشيخ ويأكل الشيخ معهم. وإن أراد تشريف أحد من كبار أمرائه بعث إليه فأكل معه، ويأكل سائر الناس بدار الطعام. وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ.

ثم يدخل إلى داره، ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات، فما كان متعلقاً بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي، وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى، وهم الوزراء والأمراء، وما كان مفتقراً إلى مشاورة السلطان كتبوا إليه فيه، فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره. وتلك عادتهم دائماً.

ثم ركبت البحر من مدينة مقدشو متوجهاً إلى بلاد السواحل قاصداً مدينة كِلْوا من بلاد الزنوج(٩٣))

يتضح من كتابات ابن بطوطة. مدى التقدم الحضاري الذي وصلت إليه

سلطنة مقدشوه في ذلك العصر التاريخي، فقد كان لديها أحدث التقاليد والمراسم السلطانية التي يمكن تشبيهها بما يحدث في عصرنا الحالي. فهناك ما يشبه السلام الوطني، كما كان للسلطان مندوب للاستقبال وحاشية، وسجل للزيارات بالإضافة إلى الموكب السلطاني الذي كان يسير به السلطان، ثم هناك دار للضيافة وما يشبه مكتب الشكاوي، فعندما يدخل السلطان أو الشيخ إلى داره يقصد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات فما كان متعلقاً بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء وما كان مفتقراً إلى مشاورة السلطان كتبوا إليه فخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما نظره وتلك عاداتهم؛ بل إن سلطان مقدشوه لم يفتقر أيضاً مجلسا للشورى للنظر في مشاكل الناس، وهذا يوضح مدى التأثير الإسلامي على تقاليد السلطنة ومراسمها وتطبيق الشريعة الإسلامية في تلك المنطقة.

ويتضح أيضاً انقسام المجتمع إلى طبقة غنية متمثلة في السلطان والوزراء والأمراء والقضاة وغيرهم من الطبقة العليا في المجتمع، وطبقة الشعب التي تمثل الغالبية، وما يمكن أن نسميها طبقة العامة.

المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية :

١ ـ آدم متز: الحضارة الإسلامية
ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة.
الطبعة الرابعة ـ بيروت ١٩٦٧.
٢ ـ ابراهيم علي طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى.
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ العدد الثامن ١٩٥٩.
٣ ـ ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ القاهرة ١٩٦٦.

٤ ـ ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ/ ٨٢٨م أو ٨٣٣م): سيرة النبي ﷺ ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٤ أجزاء ـ القاهرة ١٩٣٧.

٥ ـ أبو الفدا (اسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):
ـ المختصر في أخبار البشر
٤ أجزاء ـ القاهرة بدون.
ـ تقويم البلدان
باريس ١٨٤٠م.

٦ ـ ترمنجهام، سبنسر: الإسلام في شرق أفريقيا.
ترجمة محمد عاطف النواوي ـ القاهرة ١٩٧٣.

٧ ـ توماس، أرنولد: الدعوة للإسلام.
ترجمة حسن ابراهيم حسن ـ القاهرة ١٩٧٠.

٨ ـ جامع عمر عيسى الصومالي: تاريخ الصومال في العصور الوسطى والحديثة القاهرة ١٩٦٥.

٩ ـ جمال زكريا قاسم:
ـ استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا.
العدد العاشر ـ حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٦٥.
ـ الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ـ (من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية) ـ القاهرة ١٩٧٥.

١٠ ـ جبان: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية.
ترجمة يوسف كمال ـ القاهرة ١٩٢٧.

١١ ـ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ـ القاهرة ١٩٦٣.

١٢ ـ حمدي السيد سالم: الصومال قديماً وحديثاً
جزءان مقدشوه ١٩٦٥.

١٣ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى ـ المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٤ سنة ١٩٦٨.

١٤ ـ شيبو بن فرج بن حمد الباقري: أخبار لامو
Translated and ediated by W. Hichens, Bantu Studies, 12, 1938, pp. 1-33.

١٥ ـ الطبري (محمد بن جريرت ٣١٠هـ/ ٩٢١م):
تاريخ الرسل والملوك
الطبعة الثالثة ـ دار المعارف ـ القاهرة.

١٦ ـ عبد الرحمن زكي:

ـ الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ـ القاهرة ١٩٦٥.
ـ بعض المدن العربية على ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى ـ مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ـ ١٩٦٤.
ـ الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا ـ المجلة التاريخية المصرية ـ مجلد ٢١ سنة ١٩٧٤.

١٧ ـ العمري (أحمد بن يحيي ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة.

١٨ ـ القلقشندي (أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
صبح الأعشى في صناعة الإنشا
١٤ جزء ـ القاهرة ١٩١٩ ـ ١٩٢٢.

١٩ ـ كراتشكوفسكي، أ.ب: تاريخ الأدب الجغرافي العربي
ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ٢ جزء ـ القاهرة ١٩٦١.

٢٠ ـ محمد محمود الصياد: جبرة وجبرت
مقال في: عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث ـ القاهرة ١٩٧٦.

٢١ ـ المسعودي (علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر
٤ أجزاء ـ القاهرة ١٩٦٧.
ـ أخبار الزمان
بيروت ١٩٦٦.

٢٢ ـ المقريزي (أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):
الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ـ القاهرة ١٨٩٥م.

٢٣ ـ ياقوت الحموي (ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي)
معجم البلدان ـ ٥ مجلدات ـ بيروت.

ثانياً: باللغات الأوربيــة:

24. Coupland, R. : East Africa & Its Invaders, London, 1956.
25. Dames, M. L. : The Book of Daurte Barbosa, Vol. I, London, 1918.
26. Freeman & Grenvillege : The Medieval History of the Coast of Tanganiya, Berlin, 1962.
27. Hichens, W. : Islam in East Africa, London.
28. Neville, C. : Kilwa an Islamic Trading City on the East African Coast, Nairobi, 1974.
29. Reusch, R. : History of East Africa, New York, 1961.
30. Stigand, C. M. : The Land of Zing, London, 1913.
31. Ullendorff, e. : The Ethiopians, An Introduction to Country and People, OUP, 1960.

الهوامش

(١) ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة محمد عاطف النواوي ص ٤٠، د. جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل أفريقيا ـ حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، مجلد ١٠ سنة ١٩٦٧ ص ٢٨٦.

(٢) حمدي السيد سالم: الصومال قديماً وحديثاً (مقدشوه ١٩٦٥) الجزء الأول ص ٣٤٨.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ جـ١ ص ٣٤٣، السهيلي: الروض الأنف جـ١ ص ٢٠٤، الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٢ ص ٣٣٠.

(٤) د. عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ص ٧، حمدي السيد: الصومال جـ١ ص ٣٤٩، د. جمال زكريا: استقرار العرب ص ٢٨٤، الجذور التاريخية ص ٥٧.

(٥) Reusch, R.: History of East Africa, p. 74.

(٦) انظر شيبو فرج بن حمد الباقري: أخبا لامو.
Translated and edited by Hichens, W., Bantu Studies, 12, 1938, pp. 1-33.
د. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقية ص ٣٩٨،
Rausch: Op. Cit., p. 77, Stigand, C.M., The Land of Zing, p. 29.

(٧) د. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص ٣٩٨،
Hichens: Islam in East Africa, p. 110, Reusch: Op. Cit., p. 72

(٨) وانظر ما يلي عن براوة. Reusch: Op. Cit., p. 74.

(٩) د. عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية ص ٧٧، الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا (المجلة المصرية للدراسات التاريخية ١٩٧٤) ص ٣٨. Reusch: Op. Cit., p. 75, Stigand,
Op. Cit., p. 29-30, Coupland, R..: East Africa & Its Invaders, p. 20.

(١٠) الطبري: الأمم والملوك جـ٥ ص ٨٤٢ ـ ٤٥١، المسعودي: مروج الذهب جـ٢ ص ١٨١، د. عبد الرحمن زكي: الإسلام والحضارة العربية ص ٣٨، حمدي السيد: الصومال جـ١ ص ٣٥٠،
Coupland: Op. Cit., p. 21.

(١١) Reusch: Op. Cit., pp. 79-80. وانظر ما يلي عن مقدشوه.

(١٢) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٠.

(١٣) د. حسن أحمد محمود: مرجع سابق ص ٣٥٩، د. جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية ص ٥٩، استقرار العرب ص ٢٨٧، ٢٨٨،

(١٤) ياقوت: معجم البلدان، المسعودي: مروج الذهب جـ١ ص ٩٨، د. حسن أحمد محمود: مرجع سابق ٣٩٩، د. جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية ص ٦٠، استقرار العرب ص ٢٨٨،
Reusch: Op. Cit., p. 85, Stigand: Op. Cit., pp. 7-8.

(١٥) حمدي السيد: الصومال جـ١ ص ٣٥٦، دائرة المعارف الإسلامية مادة: مقدشو جيان: وثائق تاريخية وجغرافية عن شرق أفريقيا، ترجمة يوسف كمال، ص ٨٥.

(١٦) ابن بطوطة: تحفة النظار ص ١٩٣، د. جمال زكريا: استقرار العرب ص ٢٧٧، الأصول التاريخية ص ٦٠، Freeman-Grenville, G.S.P.: The Medieval History of the Coast of Tanganika, p. 31.

(١٧) توجد مقارنة كاملة لنص مخطوط «السلوة في أخبار كلوة» وما نشره باروس عن تاريخ كلوة بعنوان. Choronica dos Reys de Quiolo, Freeman: Op. Cit., pp. 66-75.

(١٨) يرى هتشنز Hichens اعتماداً على بعض التواريخ المحلية أن هذه الهجرات تمت فيا بين سنتي ١٠٥٥ ـ ١١٠٠م، وإن هؤلاء الشيرازيين كانوا من الشيعة وفروا من وجه طغرل بك السلجوقي الذي فتح شيراز سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٥٥م ويؤيد د. حسن أحمد محمود هذا الرأي ـ انظر: د. حسن أحمد محمود: مرجع سابق ص ٤٠٠،
Hichens: Islam in East Africa, p. 117.

(١٩) Freeman : Op. Cit., p. 75.

(٢٠) كلوة: جزيرة صغيرة على مقربة من ميناء دار السلام الحالي. وعن تاريخها وآثارها في العصر الإسلامي ـ أنظر: Nevil Chittick : Kilwa an Islamic Trading City on The East African Coast, 2 Vols., Nairobi, 1974.

(٢١) د. عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ص ١١٩، د. حسن أحمد محمود: مرجع سابق ٤٠٠،
Stigand: Op. Cit., p. 30, Reusch: Op. Cit., p. 183, Freeman : Op. Cit., p. 111.

(٢٢) Reusch : Op. Cit., p. 115.

(٢٣) Stigand : Op. Cit., p. 49, Reusch : Op. Cit., p. 134.

(٢٤) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٢، وانظر ما يلي عن مراكز الدعوة الإسلامية في الصومال.

(٢٥) نفس المرجع ص ٣٥٢.

(٢٦) Coupland : Op. Cit., p. 18.

(٢٧) شارك الرقيق الأبيض والأسود في الحياة السياسية والاجتماعية في الدولة الإسلامية فنهم من كانوا جنوداً وقواداً، ومنهم من وصل إلى مراكز سامية مثل مؤنس الخادم في العراق، وكافور الأخشيدي وجوهر الصقلي في مصر، وسبكتكين في بلاد الأفغان، ومنهم من ثار على الدولة الإسلامية مثل ثورة الزنج التي قاموا بها في القرن ٣هـ/٩م بالقرب من البصرة، وكان معظمهم من الصومال وزنجبار، واستمرت ثورتهم على الدولة العباسية حوالي ١٤ سنة انظر: أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ٢ ص ٤٦، ٤٨، ٥٢، ٧٧، آدم متز: الحضارة الإسلامية ـ ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة جـ١ ص ٣٤ وما بعدها، وص ٢٩٥ وما بعدها، المسعودي: مروج الذهب جـ٤ ص ١٩٤.

(٢٨) أبو الفدا: تقويم البلدان جـ١ ص ١٥٦.

(٢٩) المسعودي: مروج الذهب جـ١ ص ١٠٧، ١٠٨.

(٣٠) حمدي السيد: الصومال جـ١ ص ٣٠٠.

(٣١) ابن بطوطة: تحفة النظار ص ١٨٩ وما بعدها: تريمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا (الترجمة العربية) ص ٦٢. Reusch : Op. Cit., p. 217.

(٣٢) حمدي السيد: الصومال جـ١ وما بعدها.

(٣٣) نفس المرجع والصفحة.

(٣٤) Freeman : Op. Cit., p. 84, Coupland : Op. Cit., p 39

(٣٥) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٥، ص ٣٥٧.

(٣٦) انظر ما سبق عن هذه الهجرة.

(٣٧) Freeman : Op. Cit., p. 84. Coupland : Op. Cit., pp. 22-23.

(٣٨) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٦، جامع عمر عيسى الصومالي: تاريخ الصومال ص ٤١.

(٣٩) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ص ٧٢.

(٤٠) حمد السيد: مرجع سابق ص ٣٥٧. Reusch : Op. Cit., p. 86.

(٤١) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٧، توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٢٨٧.

(٤٢) معجم البلدان ـ مادة مقدشو.

(٤٣) تقويم البلدان ص ١٦٠.

(٤٤) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٧.

(٤٥) أنظر ما سبق عن الصراع بين الهجرتين.

(٤٦) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٦، Reusch : Op. Cit., p. 85, 151, Stigand : Op. Cit. p. 7.

(٤٧) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٦.

(٤٨) نفسه.

(٤٩) انظر ما يلي عن الصومال والرحالة المسلمون.

(٥٠) عبد الرحمن زكي: بعض المدن العربية في ساحل شرق أفريقيا ص ٨٧.

(٥١) Dames : The Book of Duarte Barbosa, Vol. I, p. 31.

(٥٢) Stigand : Op. Cit., p. 19.

(٥٣) Reusch : Op. Cit., p. 85.

(٥٤) ياقوت: معجم البلدان، مادة مركة.

(٥٥) أبو الفدا: تقويم البلدان ص ١٦٢، ١٦٣.

(٥٦) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٦٠.

(٥٧) أنظر ما سبق، Stigand : Op. Cit., p. 52. Reusch : Op. Cit., p. 74.

(٥٨) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٨.

(٥٩) أنظر ما سبق عن هذه الهجرة، وعن تأسيس مقدشوه.

(٦٠) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٥٨.

(٦١) نفس المرجع ص ٣٥٩.

(٦٢) Dames : Op. Cit., Vol. I., p. 30.

(٦٣) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٦٠.

(٦٤) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٤.

(٦٥) العمري: مسالك الأبصار (المخطوط جـ٢ ورقة ١٨٤.

(٦٦) طبع في القاهرة ١٨٨٥م، والمعروف أن كتاب العصور الوسطى كانوا يطلقون على المنطقة كلها اسم «الحبشة»، وهم لا يعنون بذلك حدوداً سياسية أو إقليمية، ولكن من قبيل إطلاق اسم الجزء على الكل نظراً

لشهرة الحبشة عند العرب.

(٦٧) نفس المصدر ص ٦.

(٦٨) عن هذه التسميات انظر المقريزي: الإلمام ص‌ص ٦ ـ ٨، القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٥.

(٦٩) محمد محمود الصياد: جبرة وجبرت (مقال بكتاب: عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث) ص ٥٨٧.

(٧٠) المقريزي: الإلمام ص ٩ ـ ١١.

(٧١) العمري: مسالك الأبصار (المخطوط) جـ٢ ورقة ٤٧٧، القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٥.

(٧٢) محمد محمود الصايد: مرجع سابق ص ٥٨٧، القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٧٣) محمد محمود الصياد: مرجع سابق ٥٨٧، القلقشندي: مصدر سابق جـ٥ ص ٣٢٧.

(٧٤) العمري: مسالك الأبصار (المخطوط) جـ٢ ورقة ٤٨٢ ـ ٤٨٣، المقريزي: الإلمام ص ٧ ـ ٨، القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨، محمد محمود الصياد: مرجع سابق ص ٥٨٧.

(٧٥) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٨، محمد محمود الصياد: مرجع سابق ص ٥٨٨.

(٧٦) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٩، المقريزي: الإلمام ص ٨.

(٧٧) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٢٩.

(٧٨) القلقشندي: صبح الأعشى :.٥ ص ٣٢٥.

(٧٩) Ullendorff, E., : The Ethiopians, pp. 113-114.

(٨٠) حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٠٢.

(٨١) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٣١، د. سعيد عاشور، بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى ـ المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٤ سنة ١٩٦٨ ص ٦.

(٨٢) انظر ترجمته في ابن حجر: الدرر الكامنة جـ٣ ص ٦١ ترجمة رقم ٢٥٩٦.

(٨٣) انظر ترجمته في ابن حجر: الدرر الكامنة جـ٢ ص ٤١٧ ترجمة رقم ٢٢٥٠.

(٣) د. سعيد عاشور: المرجع السابق ص ٧، ٨.

(٨٥) للدراسة التفصيلية عن هذه الحروب أنظر: ابراهيم علي طرخان: الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ـ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ العدد الثامن ١٩٥٩ ص ٤٩ وما بعدها، حمدي السيد: مرجع سابق ص ٣٦٣ وما بعدها، وانظر أيضاً المقريزي: الإلمام ص ١١ وما بعدها.

(٨٦) مقدمة كتاب المسعودي: أخبار الزمان (بيروت ١٩٦٦) ص‌ص ٢٠ ـ ٢٢، ومقدمة كتاب المسعودي مروج الذهب (القاهرة ١٩٦٤) جـ١ ص‌ص ٦ ـ ٨.

(٨٧) المسعودي: مروج الذهب جـ١ ص ١٠٨.

(٨٨) رحلة ابن بطوطة (ط. القاهرة ١٩٦٦) ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٨٩) وسقه (بفتح الواو وسكون السين) أي حمله.

(٩٠) التانبول: ضرب من اليقطين طعم ورقة كالقرنفل، مشه ـ أي فاتح للشهية ـ مطرب «القاموس».

(٩١) الفوفل: نوع من النخل النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر. «القاموس».

(٩٢) المنجو كما يأتي في الحواشي ـ والكلمة غير عربية.

(٩٣) ابن بطوطة: تحفة النظار ص‌ص ١٦٩ ـ ١٧١.